اذ يصح على غيره ، لا يصح عليه · ولئن وقع الاختيـــار على ذلك النهـج التصنيفي ، فبسبب تغييب الاقتصاد ، ايضا ، في تحديد العلاقات البشريـــة الاجتماعية كعلاقات انتاج (١٣) · ولا انتاج في لبنان ، برأي شيحا ، كما سنرى في حينه · وفي هذا حجة قد يستند اليها فعل هذا التغييب الايديولوجي · امـا العبارة الثانية ـ العلامة او الاتيكيت ـ فتؤكد هذا التصنيـف مـن حيث هو فعل الفكر **من خارج الواقع** ، وتؤكد ايضا ان **العلاقة** التي تربطها بهذه المجموعـات المصنفة **ليست علاقة ضرورية** ، انما هي **علاقة خارجية** هي نتيجة ارتياح الفكـر لتصنيفه · كان بامكان هذا الفكر ، لو ارتاح لتصنيف اخر ، ان يختار علامة ـ او اتيكيت ـ اخرى غير هذه العلامة الطائفية التي يهتدي بها على بشر ليسوا كالبشر · كأنهم في متحف التاريخ ، او منه يخرجون · لذا ، كانت مقاربتهم ، بالفكر ، **تصنيفية** ، كأنهم ، او لانهم عند هذا الفكر اثريون ، وكان الفكر هـــذا الذي يقاربهم **فكرا اثريا** ، او قل ، لتبديد الالتباس ، فكـــر الاثري (عالـــم الاثريات) اكثر منه فكر الاقتصادي او الاجتماعي او السياسي ، فيخرجه مـن دائرة العقل ، وينظر في اللبنانيين ، فلا يجد سبيلا اليهم افضـل من **تصنيفهم** ، ويتعرفهم بعلامات ، من صنعه يلصقها بهم ـ كالاثريات ـ فيستحيلون ، **بها وبه** ، مجموعات « طائفية » ؟ ونستقرىء النص الشيحاوي ، في صياغته الطريفة ، ولا نجد فيه جوابا ، بل نجد ذلك **البياض** الملازم للغة الايديولوجية ، فنستدل به على صاحب هذا الفكر ونمطه· انه ذلك **المجهول** في فعل التجزئة on compartimente وفعل فعل التصنيف on nous classe · وما هو مجهول الا لانـــه **الغائب المغيب** · هنا ايضا تقوم اللغة بوظيفتها الايديولوجية في تغييب السيد ، سيـــد القول والفكر وسيدها ، سيد التاريخ والتصنيف ، سيد التابع ، يخضعه لعلاماته كي يبقى تابعا ، فاذا انعتق هذا ، بالشكل ، بقيب العلامة تلك شكلا له ، فيـــه يتجوهر ، فيبقى السيد سيدا ، والتابع تابعا ، لا يتماثلان الا **في الشكل** · ومـا الشكل هذا سوى اثر السيد ، هذا الغائب المغيب الذي هو حاضر في اثـره · **انه فكر البرجوازية الامبريالية نفسه** · به ينظر شيحا في لبنان ، فيجد ما يجد ، ويصنف ما يصنف · ومن هنا اتت صياغة هذا الفكر للمجهول · ولئن كـــان للنص الشيحاوي من فضيلة ، فهو انه كتب في سنة ١٩٣٦ ، وكتب النص الاخر في سنة ١٩٤٢ ، ولن نجد مثل هذه الصياغة للمجهول في نص بعد هذه السنة، اذ ان العلامة ستستقل ، بالشكل ، عن الفكر الذي به ومنه اتت ، لتتجوهر في شكل سيستقل عن مضمونه ، حتى يبقى المضمون هذا في ديمومة تبعيته للسيـد الغائب ، الحاضر فيه ، هو الذي منه الاثر ·

ليس تاريخ النص هذا المكتوب في عهد الانتداب كافيا ليدل على الطابـــع الايديولوجي البرجوازي الامبريالي لذلك الفكر ، بل فعل التصنيف في النظر في شعوب البلدان المستعمرة هو الذي يدل عليه · ولكم ازدهر هذا الفكر الاثـــري